

صلاح الحال في العمل بحديث الخمس خصال

الشيخ الدكتور
أبو عبد الرحمن سمير بن أحمد الصباغ



صلاح الحال

في العمل بحديث الخمس خصال

كتبه الفقير إلى عفوريته الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات



حقوق الطبع مبدولة لعموم المسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنْ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي
النَّارِ.

هذه رسالة مختصرة في بيان وصية من وصايا رسول الله ﷺ للأمة، فقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم، يتكلم بالكلام المحدود اليسير الذي يشتمل على المعاني العظيمة والحكم الباهرة الكثيرة، والذي فيه صلاح حال المسلم فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الخلق، ومن ذلك وصيته بخمس كلمات لأبي هريرة رضي الله عنه وللأمة من بعده، وهذا ما سنلقي عليه الضوء بمشيئة الله تعالى.

أولاً: نص الوصية

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَأْخُذْ مِنِّي خَمْسَ خِصَالٍ فَيَعْمَلْ بِهِنَّ، أَوْ يَعْلَمْهُنَّ مَنْ يَعْمَلْ بِهِنَّ؟». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِيَدِي، فَعَدَّهِنَّ فِيهَا، وَقَالَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ».

شرح حديث: من يأخذ مني خمس خصال
وفي لفظ: «فساد القلب»^(١).

ثانيًا: من فوائد الحديث

١- استحباب وصية العالم لأصحابه وأتباعه، ويوصي كلًّا بحسبه، كما كان النبي ﷺ يفعل، يقول له رجل: أوصني. فيقول: «لَا تَغْضَبُ»^(٢).

ويسأله آخر، فيقول: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٣)،
ويسأل رجل ثالث: أيُّ العمل أفضل؟ فيقول ﷺ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا»^(٤)، ويسأله رابع السؤال نفسه، فيقول ﷺ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ»^(٥).

فیراعي ﷺ مقتضى الحال في النصيحة حسب ظروف كل إنسان في الزمان وفي المكان.

^(١) أخرجه أحمد (٨٠٩٥)، والترمذي (٢٣٠٥).

^(٢) أخرجه البخاري (٦١١٦).

^(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣).

^(٤) أخرجه البخاري (٥٢٧).

^(٥) أخرجه أحمد (٢٢١٤٩)، والنسائي (٢٢٢٢).

ويقول لابن عباس: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعَلَّمَكُ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١).

ويقول للصَّحَابَةُ رضي الله عنهم في حديثِ العَرَبَاضِ رضي الله عنه: «أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

ويُوصِي مُعَاذًا أَنْ يَقُولَ ذُبِّرْ كُلَّ صَلَاةٍ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٣).

^(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

^(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧).

^(٣) أخرجه أحمد (٢٢١١٩)، وأبو داود (١٥٢٢).

ويقول لابن عمر رضي الله عنهما: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ كَعَابِرِ

سَبِيلٍ»^(١).

٢- حِرْصُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى تَعْلِيمِ أَصْحَابِهِ وَنَصِيحَتِهِمْ، وَتَوَاضُّعِهِ.

٣- حِرْصُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ،

وَلِذَلِكَ كَانَ رضي الله عنه أَحْفَظَ النَّاسِ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا وَرَدَ

بِالسَّنَدِ الصَّحِيحِ أَيْضًا؛ حَيْثُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدَ النَّاسِ

بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ

أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ

عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^(٢).

٤- فَضِيلَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، فَلَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا

مُنَافِقٌ، قَالَ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ

^(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

^(٢) أخرجه البخاري (٩٩).

الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحِبُّهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا- يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ- وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ»، فَمَا خَلَقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي^(١).

٥- الوصية للولد أو الطالب أو الزوجة أو الأخ تُشعر بمدى الحب والود والشفقة من الموصي للموصي له.

٦- الغرض من العلم هو العمل به وتعليمه للآخرين؛ ليعملوا به: «فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ».

قال النبي ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(٢)، وقال ﷺ: «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتي فَوَعَاها، فَبَلَّغَهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»^(٣).

^(١) أخرجه مسلم (٢٤٩١).

^(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

^(٣) أخرجه أحمد (٤١٥٧)، وأبو داود (٣٦٦٠).

ثالثاً: شرح الوصايا الخمس الواردة بالحديث

الوصية الأولى

قوله ﷺ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ»

- التقوى: هي فعلُ المأمور وتركُ المحذور.

- تركُ المحرّماتِ يلزمُ منه فعلُ الفرائضِ والواجباتِ؛ لأن تركها

محرّمٌ، وتقضي التقوى تركُ المحرّماتِ؛ لأن الوقوعَ فيها مخالفةٌ لأمر الله، يَأْثُمُ بها العبدُ.

- وهذا يتطلبُ من العبدِ أن يتعلّم، وأن يتفقهَ في الدين؛ لِيَعْلَمَ

الواجبَ عليه فيأتيه، والمحرّمَ عليه فيتركه.

- على قدرِ العلمِ والعملِ تكونُ العبوديةُ، وهذا يتحقّقُ بأداءِ

الفرائضِ والواجباتِ والاجتهادِ في نوافلِ العباداتِ وفي تركِ

المحرّماتِ والمكروهاتِ.

- وتركُ المحرّم هو برهانُ العبوديةِ لله؛ لأنه يؤثّر طاعةَ ربّه على

هوى نفسه، فأعمالُ البرِّ يعملُها الصالحُ والطالحُ، وأما تركُ

المحرّماتِ فلا يُوفّقُ إليه إلا المُتَّقُونَ.

قال النبي ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالٍ نِهَامَةٍ بَيْضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَثُورًا». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»^(١).

فَاعْبُدُ النَّاسَ مَنْ تَرَكَ الْمَحْرَمَ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ، لَا يَمْنَعُهُ مِنْهُ إِلَّا الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ هُوَ الرَّادِعُ الْوَحِيدُ لِلْعَبْدِ مِنْ فِعْلِ الْمَحْرَمَاتِ وَتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَإِذَا وَقَعَ الْعَبْدُ فِي مُحْرَمٍ فغَلَبَتْهُ نَفْسُهُ أَوْ شَيْطَانُهُ أَوْ شَهْوَتُهُ، فَلَا يَحْمِلُهُ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالنَّدَمِ إِلَّا الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

- عَلَى قَدْرِ الطَّاعَةِ وَتَرْكِ الْمَعْصِيَةِ تَكُونُ رَفْعَةُ الْعَبْدِ عِنْدَ رَبِّهِ، وَكَرَامَتُهُ لَهُ، وَعَلَى قَدْرِ الْمَعْصِيَةِ يَكُونُ انْحِطَاطُ قَدْرِ الْعَبْدِ عِنْدَ رَبِّهِ، وَإِهَانَتُهُ لَهُ.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥).

- وعلى قدرِ الصَّحبةِ تكونُ التقوى والصَّلاحُ، قال اللهُ تعالى:

{الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾} ^(٦٧) يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾} [الزخرف: ٦٧-٦٨].

وقال النبي ﷺ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا» ^(١).

وقال النبي ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُحَالِلُ» ^(٢).

وقال ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» ^(٣).

- إذا اجتنبَ العبدُ جميعَ المحرَّماتِ فقدِ ارتقى إلى أعلى مراتبِ العبوديةِ.

^(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥).

^(٢) أخرجه أحمد (٨٠١٥)، والحاكم في المستدرک (٧٣٩٨).

^(٣) أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨).

- الفرائض أمرنا فيها بما نستطيع، أما المحرمات فأمرنا باجتنابها كلها، قال النبي ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»^(١).

- المنهي عنه كالشرك والنفاق والزنا وعقوق الوالدين والقطيعة والسرقه والخمر والرشوة والغيبة... إلخ.

الوصية الثانية

قوله ﷺ: «أَرْضُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ»

- السعيد من اجتنب المحرمات، ورضي وقنع بما قسم الله له من الأرزاق، والعطايا، والبلايا، علماً منه بأن الله لا يُقدر له إلا الخير، ولا يختار له إلا الصالح.

- السعيد من جنب الفتن، وابتلي فصبر، قال ﷺ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنِ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، فَوَاهَا»^(٢).

^(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧).

^(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٦٣).

- الْغِنَى الْحَقِيقِيُّ هُوَ غِنَى النَّفْسِ وَالْقَلْبِ بِالرِّضَا وَالْقَنَاعَةِ وَالْيَقِينِ.

- الْقَلْبُ السَّلِيمُ هُوَ الْمَطْمَئِنُّ الرَّاضِي بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، الْخَالِي مِنَ الطَّمَعِ فِي غَيْرِ الْمَقْسُومِ، وَالسَّالِمِ مِنَ الشَّرِكِ وَالْبَدْعَةِ وَالْإِصْرَارِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾} [الشعراء: ٨٨-٨٩].

وقال سبحانه: {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} [الرعد: ٢٨].

- الْقَنَاعَةُ عَزٌّ وَغِنَى بِاللَّهِ وَحَرِيَّةٌ وَعِبُودِيَّةٌ لِلَّهِ، وَالطَّمَعُ فَقْرٌ وَذُلٌّ وَعِبُودِيَّةٌ لْغَيْرِ اللَّهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ؛ وَلَكِنَّ الْغِنَى عَنْ النَّفْسِ»^(١).

وقال ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضْيِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، مسلم (١٠٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٦٦).

وقال ﷺ: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنْ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلُهُ، وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ»^(١).

وقال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَبْلُغُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»^(٢).

- قال تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِرِيًّا^٣ وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾}

[الزخرف: ٣٢].

فالله وحده هو مُقَسِّمُ الأرزاقِ والنعم، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٣٢﴾}، فالرِّزْقُ بالقَسَمِ والحِظُّ لا بالعلم والعقل.

- أصل الرِّضا هو سكون القلب وسروؤه باختيار الربِّ جل وعلا، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «انْظُرُوا إِلَيَّ مَنْ هُوَ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٦) - ومسلم (١٠٤٨)

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٤٤).

أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»^(١).

الوصية الثالثة

قوله ﷺ: «وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا»

- جعل النبي ﷺ الإحسان إلى الجار من علامات كمال الإيمان.

- ويكون حسن الجوار بحسن العشرة وحسن المعاملة، وكف الأذى، وتحمل الأذى، وتفقد الجار، وقضاء حوائجه، وستره، وصيانة عرضه وماله ودمه، والنصح له، وأن تحب له ما تحب لنفسك من الخير.

ومن تعظيم الرسول ﷺ لحرمة الجار وصيانيته في ماله وأهله قال لأصحابه: «مَا تَقُولُونَ فِي الزُّنَا؟». قَالُوا: حَرَمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةٍ جَارِهِ»،

^(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٣).

قَالَ: فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟». قَالُوا: حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ،
فَهِيَ حَرَامٌ. قَالَ: «لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ آيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ
أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ»^(١).

الجيرانُ ثلاثة:

جارٌ قريبٌ مسلمٌ: له ثلاثة حقوق: حقُّ الجوارِ، وحقُّ القرابةِ،
وحقُّ الإسلامِ.

وجارٌ غريبٌ مسلمٌ: له حقَّانِ: حقُّ الجوارِ، وحقُّ الإسلامِ.
وجارٌ كافرٌ، له حقُّ الجوارِ.

- قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ
إِلَى جَارِهِ»^(٢)، وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ
جَارَهُ»^(٣)، وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ

^(١) أخرجه أحمد (٢٣٨٥٤)، والبخاري (٢١١٥).

^(٢) أخرجه مسلم (٤٨).

^(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٧).

جاره^(١)، وقال ﷺ: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ»^(٢).

فمن أراد أن يعرف هل هو محسن أم مسيء فليُنظر إلى حال نفسه مع جيرانه، قال رجل: يا رسول الله، أريد أن أعرف: محسن أنا أم مسيء؟ قال: «سَلْ جِيرَانَكَ»^(٣).

الوصية الرابعة

قوله ﷺ: «وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا»

- من علامات كمال إسلام العبد أن يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير.

- وقال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ»^(٤)؛ أي: لا يكمل إيمانه إلا بذلك.

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٥).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (١٤٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

- قد نهى الإسلامُ عن التحاسدِ بين المسلمين، فقال: «لا

تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(١).

والحسدُ هو تَمَنِّي زوالِ النعمِ عن المحسودِ، وكرهيةُ الخيرِ له،
والحسدُ يحملُ صاحبه على بُغْضِ المحسودِ، وكرهيةُ الخيرِ له،
وهذا من أكبرِ الكبائرِ، وأشنعِ المعائبِ؛ لأنَّ الحسدَ إذا وقرَّ في قلبِ
عبدٍ حمَلَهُ على معصيةِ اللهِ وعلى الكفرِ كإبليسَ، وعلى القتلِ كابنِ
آدمَ الأولِ، وعلى الظلمِ والكذبِ والغشِّ والعقوقِ كإخوةِ يوسفَ،
وعلى الشركِ والفسادِ في الأرضِ كقريشٍ مع رسولِ الله ﷺ.

ويؤدي إلى هدمِ السُّنَّةِ ونشرِ البدعةِ كما يجري بين طلابِ العلمِ
من أهلِ السُّنَّةِ أو ممَّنْ ينتسبون إلى السُّنَّةِ والعلمِ.

فلذلك لا يبلغُ العبدُ كمالَ الإيمانِ ولا كمالَ الإسلامِ
والإحسانِ حتى يحبَّ لأخيه المسلم ما يحبُّ لنفسه من الخيرِ.

- فهذا نبيُّ الله موسى يدعو ربَّه لأخيه هارونَ بأن يجعله نبيًّا

مثله، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ﴾ ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ ﴿٢٦﴾

^(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٨).

وَأَحْلَلَ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلَ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾
 قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾ { [طه: ٢٥-٣٥].

- وهذه أخته تحمل هممه، وتقص أثره، وتحرض على سلامته،
 {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
 ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ
 بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ
 تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾} [الفصص: ١١-١٣].

- وهذه أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ تقول: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انكِحْ
 أُخْتِي عَزَّةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَحِبِّينَ ذَلِكَ؟». فَقَالَتْ: نَعَمْ، يَا
 رَسُولَ اللَّهِ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيةٍ، وَأَحَبُّ مِنْ شَرَكْنِي فِي خَيْرِ أُخْتِي.
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لِي»^(١).

(١) أخرجه مسلم (١٤٤٩).

- وهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، لما سمع البشري بالجنة لمن
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنى أن يجيء أخوه لينال هذه البشري،
قال: لألزمَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأكوننَّ معه يومِي هذا، قال: فجاء
المسجد، فسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: خرج، وجَه هاهنا، قال
فخرجتُ على أثره أسأل عنه، حتَّى دخل بئر أريس، قال: فجلستُ
عند الباب، وبابها من جريد، حتَّى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته
وتوضأ، فقمْتُ إليه، فإذا هو قد جلس على بئر أريس وتوسط قفها،
وكشف عن ساقيه، ودلَّاهما في البئر، قال: فسلمتُ عليه، ثمَّ
انصرفتُ فجلستُ عند الباب، فقلتُ: لأكوننَّ بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليوم، فجاء أبو بكرٍ فدفع الباب، فقلتُ: من هذا؟ فقال أبو بكرٍ:
قلتُ: على رسلك، قال: ثمَّ ذهبتُ فقلتُ: يا رسول الله هذا أبو
بكرٍ يستأذن، فقال: «اأذن له، وبشِّره بالجنة». قال فأقبلتُ حتَّى
قلتُ: لأبي بكرٍ ادخل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشِّرُك بالجنة، قال: فدخل
أبو بكرٍ، فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، معه في القف، ودلَّى
رجليه في البئر، كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم، وكشف عن ساقيه، ثمَّ رجعتُ

فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: **إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ - يُرِيدُ أَخَاهُ - خَيْرًا يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «إِذْنُ لَهُ وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ» فَجِئْتُ عُمَرَ فَقُلْتُ: أَذِنَ وَيَسِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ، قَالَ فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقَفِّ، عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبُئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: **إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا - يَعْنِي أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَحَرَّكَ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، قَالَ وَجِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «إِذْنُ لَهُ وَبَشْرُهُ بِالْجَنَّةِ، مَعَ بُلُوَى تُصَيِّبُهُ»^(١).****

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المسلم مع إخوانه من المسلمين عموماً، سواء كانوا إخوة في النسب أم لا.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣).

الوصية الخامسة

قوله ﷺ: «وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقُلُبَ»

- الإسلام دينُ البشاشةِ والضحكِ المعقولِ، قال النبي ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»^(١)، وكان النبي ﷺ يضحكُ حتى تبدو نواجذُهُ، يضحكُ؛ لكنْ ليس بصوتٍ عالٍ مرتفعٍ، وليس ضحكًا كثيرًا مفرطًا مبالغًا فيه.

- والضحكُ من خصائصِ الإنسانِ، فالحيواناتُ لا تضحكُ.
- والضحكُ يأتي بعدَ نوعٍ من الفهمِ والمعرفةِ لقولِ يُسْمَعُ أو موقفٍ يحدثُ.

- وكثرةُ الضحكِ تورثُ ظلمةً في القلبِ وموتًا له.
- كان النبي ﷺ يمازحُ أصحابه بما هو حقٌّ، وبما لا يكثرُ منه، وكان يجلسُ معهم بعدَ الفجرِ، فيتذكرونَ أمورَ الجاهليةِ، ويضحكونَ، ويتبسّمُ النبي ﷺ، عن جابر بنِ سمرة رضي الله عنه قال: «كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ، أَوْ الْغَدَاةَ، حَتَّى تَطْلُعَ

^(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٩١)، وابن حبان (٤٧٤).

الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي
أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيُضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ^(١).

- وكان بشوشاً ذا بسمَةٍ على وجهه ﷺ وحينما قالوا: يا رسول
الله؛ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا؟! قَالَ: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»^(٢).
- فشروط الضحك: أَنْ يَكُونَ بِحَقٍّ، وَأَلَّا يَكْثَرَ مِنْهُ، وَأَنْ يَكُونَ
بصوتٍ هادئٍ.

- كان الصحابةُ يَتِمَازَحُونَ، فإذا كانتِ الحقائقُ كانوا هم الرِّجَالُ.
- فلا يصحُّ المزاحُ في وقتِ الجدِّ، ولا بما فيه مخالفةٌ شرعيةٌ.
كالنَّكَتِ ونحو ذلك، ولا بالاستهزاءِ بآياتِ القرآنِ والسُّنَّةِ، ولا
بالسُّخْرِيَةِ والاستهزاءِ بأحدٍ، ولا بالغِيبةِ والنَّمِيمةِ والبُهتانِ ونحو
ذلك، قال ﷺ: «إِنَّ الَّذِي يُحَدِّثُ النَّاسَ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ
وَيُلْ لَهُ وَيُلْ لَهُ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٦٧٠).

(٢) أخرجه أحمد (٨٤٦٢)، والترمذي (١٩٩٠).

(٣) أخرجه الطبراني (٩٥٢).

- ولا يجوز المزاح بالسلاح، قال النبي ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ؛ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَيِّهِ وَأُمَّهُ»^(١).

- ولا مزاح بترويع المسلم، قال ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»^(٢).

- ولا مزاح بين رجل وامرأة أجنبية عنه؛ لأنه إيناس وعاطفة، وربما تحدث فتنة، قال تعالى: {فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [الأحزاب: ٣٢].

- القلب يحتاج إلى ترويح بالضحك والمزاح المباح؛ لكن ليس بالكثير الذي يسقط الهيبة ويخرم المروءة ويميت القلب.

ومن الإعجاز العلمي في موت القلب بسبب كثرة الضحك:

ففي بحثٍ علميٍّ نُشرَ على موقعِ جامعة أكسفورد: تبين للعلماء أن نوبات الضحك والفرح الزائد تثير القلب بشكل كبير، وتشكل ضغطاً هائلاً عليه، ومع تكرار هذه النوبات الزائدة من

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٠٦٤)، وأبو داود (٥٠٠٤).

الفرح والضحك يُنْهَكُ القلبُ، ويمكنُ أن يتوقفَ عن العملِ بشكلٍ مفاجئٍ مما يؤدي إلى الموتِ.

- ظاهرة الضحك آيةٌ من آياتِ الله، {وَأَتَتْهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم: ٤٣]؛ ولكن كثرتَه تؤدي إلى مشاكلَ صحيّةٍ خطيرة، كالسكتة الدماغية وأزمات القلبِ.

- إذا كان الضحك معتدلاً متوسّطاً كان علاجاً فعالاً لكثيرٍ من الأمراضِ ووقايةً من أمراضِ القلبِ، أما الزيادةُ والإفراطُ فيه فيؤدي إلى الضررِ بالصحةِ، خاصةً ضررَ القلبِ.

- تقولُ العربُ: أحيوا قلوبكم بقلّةِ الضحك، وقلّةِ الشبع، وقلّةِ الحسدِ.

- القهقهةُ صفةُ السفهاءِ؛ بل هي صفةُ القروءِ.

- قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: يا رسولَ الله، أوصني، قال ﷺ: «لَا تُكْثِرِ

الضَّحْكَ؛ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيُذْهِبُ نُورَ الْوَجْهِ»^(١).

- كثرةُ الضحك تورثُ الغفلةَ، وليس موتُ القلبِ إلا بالغفلةِ.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٦٥١).

رواية أخرى للحديث:

قال ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، كُنْ وَرِعًا تَكُنْ مِنْ أَعْبِدِ النَّاسِ، وَارْضَ
بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ مِنْ أَعْنَى النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلْمُسْلِمِينَ
وَالْمُؤْمِنِينَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ، وَاكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ
وَأَهْلِ بَيْتِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَجَاوِزَ مَنْ جَاوَرْتَ بِإِحْسَانٍ تَكُنْ مُسْلِمًا،
وَيَاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ فَسَادُ الْقَلْبِ»^(١).

- النَّبِيُّ ﷺ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، كَلَامٌ مَعْدُودُ الْأَلْفَاظِ، كَثِيرُ
الْفَوَائِدِ وَالْمَعَانِي وَالْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ، قَالَ ﷺ: «أُوتِيَتْ جَوَامِعُ
الْكَلِمِ»^(٢).

- وَفِيهِ حَرَصُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَنْ يُوصِيَ أَصْحَابَهُ بِالْوَصَايَا
الْجَامِعَةِ النَّافِعَةِ.

^(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٦١٥).

^(٢) أخرجه مسلم (٥٢٣).

«كُنْ وَرِعًا تَكُنْ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ»

- الورع: هو اجتنابُ الشُّبُهَاتِ خوفاً من الوقوعِ في المحرَّماتِ.
- الضحكُ المبالغُ فيه يتسبَّبُ في غفلةٍ صاحبه عن ذكرِ الموتِ، والاستعدادِ له ولأهواله.
- فكثرةُ الضحكِ تميته إذا كان حياً، وتزيده سواداً إن كان ميتاً.
- وموتُ القلبِ هو خلوه من ذكرِ الله وإنارته بحبه وتعظيمه وخوفه ورجائه.

من هدي النبي ﷺ في الضحك

- (١) أنه ﷺ كان لا يضحكُ إلا تبسُّماً، فعن جابر بن سمرّة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ لا يضحكُ إلا تبسُّماً^(١).
- والتبسمُ من مبادئِ ومقدِّماتِ الضحكِ، ويكونُ بلا صوت.
- والضحكُ هو انبساطُ الوجه حتى تظهرَ الأسنانُ من السرور، ويكون بصوتٍ منخفضٍ يسمعه القريبُ.

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٤٥).

(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ، قَالَ: مَا كَانَ ضَحِكُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا تَبَسُّمًا^(١).

(٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ^(٢).

(٤) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعَرِّضُ عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعَرِّضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢٨).

أَرَاهَا هَهُنَا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ^(١).

٥) قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْذُ أَسَلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا ضَحِكَ»^(٢)، وفي رواية: «وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ».

ولعل هذا لحسن هيئة جرير وبشاشته، مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحْسَنَ صُورَةً مِنْ جَرِيرٍ إِلَّا مَا بَلَّغْنَا مِنْ صُورَةِ يَوْسُفَ الصَّدِيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٦) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا التَفَّتْ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتَرَفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَدْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا أُسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ

(١) أخرجه مسلم (١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٢٢) ومسلم (٢٤٧٥).

مِنْ مَّائِهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أُعْطِيتُكَهَا سَأَلْتَنِي
 غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعِدُّهُ
 لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُذْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ
 مِنْ مَّائِهَا، ثُمَّ تَرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيُّ
 رَبِّ، أَذْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَّائِهَا، وَأَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ
 غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَلَّا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ:
 لَعَلِّي إِنْ أَذْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ
 يَعِدُّهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُذْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا،
 وَيَشْرَبُ مِنْ مَّائِهَا، ثُمَّ تَرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ
 الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَذْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ
 مِنْ مَّائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَلَّا
 تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعِدُّهُ
 لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُذْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَذْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ
 أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أَذْخَلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا
 يَصْرِيفُنِي مِنْكَ؟ أَيْرِضِيكَ أَنْ أُعْطِيكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا

رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟». فَضَحَكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكَ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ؛ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»^(١).

(٧) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَانِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرٍ» قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْحَقُّ»، وَمَضَى

فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ، قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي»، قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمْرِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يُبْلَغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَاتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ»، قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ

وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، **فَنَظَرَ إِلَيَّ**
فَتَبَسَّسَ، فَقَالَ: «أَبَا هُرَيْرٍ»، قُلْتُ: لَيْتَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بَقِيْتُ أَنَا
وَأَنْتَ»، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ»، فَتَعَدْتُ
فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ»، فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ»، حَتَّى
قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَارِنِي»
فَاعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ^(١).

(٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتَطْعِمُهُ - وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ
عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ - فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ
تَقْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ:
فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا
عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَِّةِ،
أَوْ: مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَِّةِ»، شَكََّ إِسْحَاقُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ

وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ» - كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ - قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ»، فَكَبَّتِ الْبَحْرَ فِي زَمَانٍ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، فَهَلَكَتْ^(١).

(٩) سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَكْلُمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قَمْنَ يَتَدَرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ». قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ عَدَوَاتٍ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفْظُ وَأَعْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٨).

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»^(١).

فَمِنْ آدَابِ الضَّحْكِ:

١- أَلَّا يَكُونَ الضَّحْكَ بِغَيْرِ سَبَبٍ.

٢- أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعٍ يُتَاحَ فِيهِ الضَّحْكَ، فَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا كَانُوا يَضْحَكُونَ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ؛ اسْتَهْزَاءً وَاسْتِخْفَافًا، فَقَالَ: {أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۖ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۖ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ} [النجم: ٥٩-٦١]، وَقَالَ: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۖ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} [المطففين: ٢٩-٣٠]؛ اسْتَهْزَاءً بِالْمُؤْمِنِينَ لِإِيمَانِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: {قَالَ أَخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامِنًا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۖ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ} [المؤمنون: ١١٠].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٤).

وذلك كَمَنْ يضحكُ عند الجنَازة وعند الجِدِّ ونحو ذلك، فهذا من علاماتِ غَفْلَةِ القلبِ وقسوته.

٣- أن يكون الضحكُ تَبَسُّمًا لا قهقهةً.

٤- ألا يكون كثيرًا؛ لأنه يَمِيتُ القلبَ بالغفلةِ والمرض، ويُسقط هَيبةَ الإنسانِ ووقاره، وقد يُورِثُ الضغائنَ والخصوماتِ.

٥- أن يكونَ الضحكُ لله وفي مرضاته؛ لقول النبي ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(١)، ولقوله ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ»^(٢).

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ!

آمِينَ آمِينَ!

(١) أخرجه الترمذي (١٩٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
٣	مقدمة
٤	أولاً: نصُّ الوصية
٥	ثانياً: من فوائد الحديث
٩	ثالثاً: شرح الوصايا الخمس الواردة بالحديث
٩	الوصية الأولى: قوله ﷺ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ»
١٢	الوصية الثانية: قوله ﷺ: «أَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ»
١٥	الوصية الثالثة: قوله ﷺ: «وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا»
١٦	الجيران ثلاثة
١٧	الوصية الرابعة: قوله ﷺ: «وَأَحَبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا»
٢٢	الوصية الخامسة: قوله ﷺ: «وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»
٢٦	رواية أخرى للحديث
٢٧	«كُنْ وَرِعًا تَكُنْ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ»